

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ﴿١٦٩﴾ 28 رجب 1442 هـ

عباد الله: لقد ذكرنا في جمعة سابقة بعض فضائل الجهاد، وهي أن الشهيد يوقى فتنة القبر، ولا يجد من مسّ القتل إلا كقرصة، ولعلي أسوق في هذه عشر فضائل إن شاء الله:

الأولى: الجهاد هو التجارة الربحة. قال الله ﷻ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

الثانية: الجهاد من أفضل الأعمال. أخرج مسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: «مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله...».

الثالثة: لا يدخل أحد الجنة ويحب أن يرجع إلى الدنيا - ولو جعل له ما على الأرض - إلا الشهيد. أخرج الشيخان والترمذي والنسائي، واللفظ له، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالرجل من أهل الجنة، فيقول الله ﷻ: يا ابن آدم، كيف وجدت منزلك؟ فيقول: أي رب خير منزل، فيقول: سل وتمن، فيقول: سألتك أن تردني إلى الدنيا، فأقتل في سبيلك عشر مرات؛ لما يرى من فضل الشهادة».

الرابعة: للشهيد عند الله ست خصال عظيمة. أخرج الترمذي وابن ماجه، وصححه العلامة الألباني رحمته الله، عن المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دَفْعَةٍ، وَيَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ تَاجُ الْوَقَارِ، الْيَاقُوتَةُ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَيَزَوَّجُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَقَارِبِهِ». قَالَ الْقَارِي رحمته الله في «تحفة الأحوذى»: «وَيَنْبَغِي أَنْ يُحْمَلَ قَوْلُهُ «يَرَى مَقْعَدَهُ» عَلَى أَنَّهُ عَطْفٌ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ «يُغْفَرُ لَهُ»؛

لئلا تزيد الخصال على ست.

الخامسة: من يكلم في سبيل الله يأتي يوم القيامة: اللون لون الدم، والريح ريح المسك. أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم، والريح ريح المسك».

السادسة: الشهيد في الفردوس الأعلى، وهو ربوة الجنة وأفضلها. أخرج البخاري والترمذي، واللفظ له، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن الربيع بنت النضر رضي الله عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ابنها الحارث بن سراقه أصيب يوم بدر، أصابه سهم غرب، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: أخبرني عن حارثه، لئن كان أصاب خيراً احتسبت وصبرت، وإن لم يصب الخير اجتهدت في الدعاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا أم حارثه، إنها جنة في جنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى، والفردوس ربوة الجنة، وأوسطها، وأفضلها».

السابعة: الملائكة تظل الشهيد بأجنتها. أخرج الشيخان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أصيب أبي يوم أحد، فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي، وجعلوا ينهونني، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني، قال: وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: تبكيه، أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلُّه بأجنتها، حتى رفعتُموه».

الثامنة: أرواح الشهداء تسرح من الجنة حيث شاءت. أخرج مسلم، واللفظ له، والترمذي وابن ماجه، عن مسروق قال: سألنا عبد الله - يعني: ابن مسعود - رضي الله عنه عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحياءٌ عند ربهم يُرزقون﴾ (١٦٩)، قال: أما إنا قد سألنا عن ذلك، فقال: «أرواحهم في جوف طير خضر، لها فناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك الفناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعاً، فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟، ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يا رب، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نُقتل في سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا».

التَّاسِعَةُ: الرَّحْمَةُ وَالْمَغْفِرَةُ لِلشَّهَادَةِ. ﴿وَلَيْنَ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

العاشرة: القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين. أخرج مسلم وغيره، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء، إلا الدين».

أيها المسلمون: إن الجهاد فرض كفاية إذا قام به من يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقي. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾. ويتعين في ثلاثة أحوال: قال الإمام ابن قدامة رحمته الله في «المغني»: ويتعين الجهاد في ثلاثة مواضع.

أحدها: إذا التقى الزحفان، وتقابل الصفان، حرم على من حضر الإنصراف، وتعين عليه المقام؛ لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾، وقوله: ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزِعُوا عَنْهُمْ فَمَنْ أَتَى اللَّهَ بِحَرْبٍ فَنُزِعُوا عَنْهُ لَمَّا يُؤْتَىٰ وَإِذِ ابْتِغَاءَ دُونِ اللَّهِ يُؤَفِّكُوا عَنْهَا وَإِنْ يُؤْخَذُ بِهَا لُبًّا وَلَا يَجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾﴾ وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

الثاني: إذا نزل الكفار ببلد، تعين على أهله قتالهم ودفعهم.

الثالث: إذا استنفر الإمام قوماً، لزمهم النفي معه؛ لقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلُم إِلَى الْأَرْضِ﴾ الآية والتي بعدها.

عباد الله: إن للجهاد آداباً، على المجاهد مراعاتها، ومنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل النساء والصبيان في الجهاد. أخرج الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وجدت امرأة مقتولة في بعض معازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء والصبيان». قال الحافظ النووي رحمته الله في «المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج»: أجمع العلماء على تحريم قتل النساء والصبيان إذا لم يُقاتلوا.

وَمِنَ الْأَدَابِ فِي الْجِهَادِ: أَنَّ دِينَنَا الْحَنِيفَ لَا يُبِيحُ قَتْلَ الْعَابِدِ فِي مَحَلِّ عِبَادَتِهِ. أَخْرَجَ أَحْمَدُ، وَحَسَنَهُ عَلَّامَةُ مِصْرَ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: «لَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلَا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ».

وَمِنَ الْأَدَابِ فِي الْجِهَادِ: أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يُبِيحُ الْغَدْرَ وَالْخِيَانَةَ مَعَ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا التَّمَثِيلَ بِجُثَّتِهِمْ، وَلَوْ فِي الْجِهَادِ. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ، عَنِ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اغزوا، وَلَا تَغْلُوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تُمَثِّلُوا». هَذَا هُوَ الْإِسْلَامُ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

وَمِنَ الْأَدَابِ فِي الْجِهَادِ: أَنَّ الْجِهَادَ مَوْكُولٌ إِلَى الْإِمَامِ، فَلَا يَجُوزُ الْإِفْتِيَاتُ عَلَيْهِ. قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قَدَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الْمُعْنِي»: «وَأَمْرُ الْجِهَادِ مَوْكُولٌ إِلَى الْإِمَامِ وَاجْتِهَادِهِ، وَيَنْزِمُ الرَّعِيَّةَ طَاعَتُهُ فِيمَا يَرَاهُ مِنْ ذَلِكَ...، فَإِذَا ثَبَتَ هَذَا، فَإِنَّهُمْ لَا يَخْرُجُونَ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمِيرِ؛ لِأَنَّ أَمْرَ الْحَرْبِ مَوْكُولٌ إِلَيْهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِكثْرَةِ الْعَدُوِّ وَقِلَّتِهِمْ، وَمَكَامِنِ الْعَدُوِّ وَكَيْدِهِمْ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُرْجَعَ إِلَى رَأْيِهِ؛ لِأَنَّهُ أَحْوْطُ لِلْمُسْلِمِينَ، إِلَّا أَنْ يَتَعَدَّرَ اسْتِئْذَانُهُ لِمُفَاجَأَةِ عَدُوِّهِمْ لَهُمْ، فَلَا يَجِبُ اسْتِئْذَانُهُ؛ لِأَنَّ الْمَصْلَحَةَ تَتَعَيَّنُ فِي قِتَالِهِمْ وَالْخُرُوجِ إِلَيْهِ، لِتَعَيِّنِ الْفَسَادِ فِي تَرْكِهِمْ؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا أَغَارَ الْكُفَّارُ عَلَى لِقَاحِ النَّبِيِّ ﷺ، فَصَادَفَهُمْ سَلْمَةُ بِنْتُ الْأَكْوَعِ خَارِجًا مِنَ الْمَدِينَةِ، تَبِعَهُمْ، فَقَاتَلَهُمْ مِنْ غَيْرِ إِذْنٍ، فَمَدَحَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: «خَيْرٌ رَجَالَتِنَا سَلْمَةُ بِنْتُ الْأَكْوَعِ». وَأَعْطَاهُ سَهْمَ فَارِسٍ وَرَاجِلٍ».

وَقَالَ الْإِمَامُ أَبُو الْقَاسِمِ الْخَرْقِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «مَتَنِ الْخَرْقِيِّ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ»: «وَوَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ إِذَا جَاءَ الْعَدُوُّ أَنْ يَنْفِرُوا، الْمُقْتَلُ مِنْهُمْ وَالْمُكْتَبَرُ، وَلَا يَخْرُجُوا إِلَى الْعَدُوِّ إِلَّا بِإِذْنِ الْأَمِيرِ، إِلَّا أَنْ يَفْجَأَهُمْ عَدُوٌّ غَالِبٌ يَخَافُونَ كَلْبَهُ - أَيْ شَرَّهُ وَأَذَاهُ -، فَلَا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَسْتَأْذِنُوهُ. اهـ وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ إِلَى الْجِهَادِ بِدُونِ إِذْنِ الْإِمَامِ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَفَاسِدِ وَالْأَضْرَارِ، وَمُخَالَفَةِ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي أَمَرَنَا اللَّهُ بِطَاعَتِهِ. وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْأَلَ أَهْلَ الْعِلْمِ إِنْ لَمْ يَعْلَمْ. قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي «الِاخْتِيَارَاتِ الْفِقْهِيَّةِ»: «الْوَاجِبُ أَنْ يُعْتَبَرَ فِي أُمُورِ الْجِهَادِ بِرَأْيِ أَهْلِ الدِّينِ الصَّحِيحِ، الَّذِينَ لَهُمْ خِبْرَةٌ بِمَا عَلَيْهِ أَهْلُ الدُّنْيَا، دُونَ الَّذِينَ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ النَّظَرُ فِي ظَاهِرِ الدِّينِ، فَلَا يُؤْخَذُ بِرَأْيِهِمْ، وَلَا بِرَأْيِ أَهْلِ الدِّينِ الَّذِينَ لَا خِبْرَةَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا».